## الفصل الثالث

# نظريات الصراع

### أولا: نظريات الصراع الكلاسيكية

- الظروف الاجتماعية

نسقى
- ماركس
- بارك

طبيعى
- بارتو
- فيلن

### ثانيًا: نظريات الصراع المعاصرة

- الظروف الاجتماعية

نسقى
- ميلز
- داهرندورف

طبيعى
- ريسمان
- كوزر

obeikan.com

## نظريات الصراع الكلاسيكية

تنظر نظرية الصراع إلى المجتمع كنسق من جماعات متصارعة تمثل الكفاح من أجل الحصول على منابع الحاجات المادية الأساسية. والعوامل القابعة وراء هذا الصراع تتضمن مشاكل التنظيم الاجتماعى نفسه، مثل تغير السكان وأنساق تقسيم العمل، أو مشاكل الطبيعة البشرية ذاتها مثل سمات الشخصية والغرائز البشرية.

هذا النموذج، على ما سنرى، يتخذ نمطين فى التفسير إما طبيعى أو نسقى وكل منهما تطورى في نفس الوقت مثل النظرية العضوية، وأيضًا نشأ ونمى إلى حد كبير فى ظل فلسفة تقاليد عصر التنوير.

على أى حال نظرية الصراع نماها جماعة من المفكرين الذين كانت خلفيتهم وأيضًا خبراتهم الاجتماعية - تختلف كلية عن جماعة النظريات العضوية الذين كان اهتمامهم ينصب على الحاجات الإنسانية والتغير الاجتماعى أكثر من اهتمامهم بمشاكل النسق أو مشاكل التنظيم الاجتماعى، بل كانوا يحاولون إعادة النظام الاجتماعى. بينما بالنسبة لمنظرى نموذج الصراع كان يتميز ذلك النموذج بأساسه الأيديولوجى، وهكذا أصبحت النظرية الاجتماعية عندهم عبارة عن رد فعل للمشاكل الاجتماعية كما يراها هؤلاء المفكرين.

### الظروف الاجتماعية

عند دراستنا لنظرية الصراع سنجد أنها تشمل مفكرين أبعد ما يكونوا عن التجانس فهم مختلفون كل الاختلاف، ومع ذلك فإن هؤلاء المنظرين يجمعهم متشابهات عامة معينة، فأصولهم الاجتماعية تميل إلى الانتماء إلى الطبقة المنخفضة أو الشريحة السفلى من الطبقة الوسطى، أكثر منها إلى الشراع العليا من الوسطى أو الطبقة العليا، ولقد تلقى معظمهم نوعًا من تعليم عصر التنوير فى مواضع معينة مثل الكلاسيكيات، والفلسفة والتاريخ والقانون والاقتصاد، وكان ينصب اهتمامهم على السياسة والنشاط العمالى، ولقد عانوا من وطأة الضغط السياسى،

والصراع فى مـجتمعـاتهم، ولقد نشأوا فى ظل فلسـفات ومثل عـصر التنوير من الطبيعية والمثالية والتطور والمذاهب العقلية والنفعية والاشتراكية.

وهنا يجدر الإشارة إلـى ملاحظة هامة وهى أن نظريات الصراع ليـست وحيدة النمط فى التـطرف الأيديولوجى، إذ نرى بينهـا أشكال مـتـعـددة من النمـاذج، فنظريات الصـراع تميل إلى الاختلاف فى الأيديـولوجية طبـقًا للأنماط الهـامة التى تستخدمـها فى التفسير، فـفكرة المشاكل الاجتماعية عنـد ماركس وبارك هى أكثر تطرفًا فى التطبيق، بينما النظرية الطبيعـية وبصفة خاصة التى أنشأها بارتو Pareto أكثر محـافظة فى نغمتها وهدفهـا، ومع ذلك فكل من النمطين يؤكد على الصراع والتغير فى صياغاتها لمفاهيم المجتمع.

يمكن شرح الاخـتلافات السابقـة بين نظريات الصراع سواء من ناحـية التطرف الأيديولوجى أو من ناحية العوامل المستخدمة فى التفسير وذلك فى النقاط الآتية:

١- طبقًا للنظر إلى المشاكل الاجـتماعية. يصبح الصراع من أجل إشـباع الحاجات يؤدى إلى الصراع والتـغير، بينما الدراسـة التى تتخذ العـوامل الطبيعيـة كأداة لتفسيـر نفس العمليات تفترض أنه هناك خـصائص معينة منغرسة فى الـطبيعة البشرية (رواسب Residues) أو (سمات Traits).

٢- فمثلا يعـتبر ماركس Marx وبارك Park أن الظروف الاقتصادية والبيـئية تفسر اتجاه سلوك الصراع، بينما بارتو Pareto وفبلن Veblen يعتبران الأفكار والقيم أكثر فاعليـة فى تفسير نفس العمليات أى التغيـر والصراع، مما يفصح بوضوح عن أن نظرة بارتو وفبلن نظرة معيارية.

على أى حـال كل من النمطين لنظـريات الصراع نسـقى وتطورى وطبـيـعى، مؤسسة على نظرية للمجتمع تراه وكأنه قائم على نوع من التوازن سواء كان مؤقتًا أو غير مستقر.

وهكذا تقدم نظرية الصراع نموذجًـا نسقيّاً للمجتمع وتشـبه النظرية العضوية فى بناء شروحها وتفـسيراتها إلا أنها تختلف فى نظرتهـا إلى المجتمع على أنه مؤسس على المنافسة والسـيادة والصراع بدلا من الاتفاق والتكامل عند الـنظريات العضوية

والبنائية الوظيفية. كـما أن نظريات الصراع تختلف فيما بينها فـيما تركز عليه من عوامل اجتماعية ذات وحدات كبرى Macroscopic أو عوامل طبيعية ذات وحدات صغرى Microscopic، وتفترض أنهـا الأسس الهامة لعمليات التغـير والصراع، وأخيـرًا يمكن القول أن نظريات الصراع تخـتلف بشدة عن النظريات العـضوية فى تركيزها بصفة عـامة على الحاجات الإنسانية أكثر منها على الأولويات الاجـتماعية أو النسقـية، أى أن نظريات الصراع تركز على الحـاجات الإنسانيـة بينما النظريات العضـوية والوظيفيـة تركز على حاجات الـنسق. وهكذا بينما قد يتـشابه بناء هذه النظريات فإن المضمون الأيديولوجى لكل منهما يختلف تمامًا.

***



obeikan.com

## كارل ماركس
## KARL MARX
## (١٨١٨ - ١٨٨٣)

ولد ماركس فى ألمانيا، وهو ابن محامى يهودى، ودرس التاريخ والفلسفة والقانون وشارك فى الصحافة والسياسة المتطرفة، وشارك فى الاتحاد الدولى للعمال وكذلك مجلس المنظمة الشيوعية، وكان سلوكه عبارة عن رد فعل للضغط السياسى والاقتصادى الحادث فى ألمانيا.

**أهدافه:**

كان هدف ماركس تحليل العلاقة بين ظروف الحياة ويقصد بها الأبنية الفرعية الاقتصادية للمجتمع، وبين الأفكار ويقصد بها الأبنية العليا المعيارية فى المجتمع، وذلك على أسس من الاستمرارية والتغير خلال التطور التاريخى للمجتمع، مثل هذه العلاقة المتبادلة كانت الأساس لأفكار ماركس، وهو يفترض أن الإنسان تحت تأثير التصنيع والاستغلال الرأسمالى تحول من رجل طبيعى إلى رجل مغترب Alianated man.

ومن ثَمَّ فالهدف الأيديولوجى لماركس هو إعادة تحويل المجتمع إلى حالة يوجد فيها الرجل الطبيعى بدلا من الرجل المغترب، وذلك بإعادة تركيب البيئة الطبيعية والاجتماعية، وكرد فعل للضغط السياسى والاقتصادى فى عصره نمى نظرية جدلية لتوجيه التغير فى المجتمع مع التركيز بصفة خاصة على البناءات الفرعية الاقتصادية، ولذلك سميت بالمادية الجدلية التاريخية.

### النظرية المادية التاريخية

لقد كان ماركس متأثرًا بشدة بفلسفة هيجل[١]. وافترض ماركس أن ديناميكية هيجل هو أوسع مذهب من مذاهب التطور وأقرها مضمونًا وأشدها عمقًا.

(١) هيجل فيلسوف ألمانى كانت فلسفة الجدلية المثالية واسعة الانتشار فى عصر ماركس.



obeikan.com

وفى الحقيقة لا يمكن فهم نظرية ماركس إلا إذا عرضنا بإيجاز لنظرية هيجل فى هذا الصدد، أراد هيجل أن يفسر التطور أو الصيرورة من الناحية الصورية المجردة. وأراد أن يستخدم فى هذا التفسير المنهج الجدلى أو التحليل الديالكتيكى، وفى هذا الصدد يقول إن كل فكرة تحمل فى طياتها عناصر نقيضها، ويطبق هذه الفكرة على الوجود، فإذا جردنا الوجود من كل صفة موضوعية بحيث يصبح وجودًا مطلقًا من الناحية الصورية، فإنه يصبح وجودًا خاليًا من الصفات والخواص وبذلك يستحيل الوجود إلى لا وجود أى أن الوجود المطلق واللاوجود شىء واحد، فكأن كل فكرة تحمل فى طياتها عناصر نقيضها، واجتماع النقيضين على هذا النحو هو الذى يفسر ظاهرة التغير، فلو لم تكن عناصر النقيضين موجودة فى الشىء على حالته الأصلية لما تصورنا تغيره من حالة لأخرى[1].

هذا المنهج استخدمه هيجل ليكشف خلال أى عقل أو روح تتم العملية التاريخية نفسها فى المجتمع، عند هيجل الروح هى المحدد للتغير، فأحل ماركس محلها الظروف المادية بمعنى العامل الاقتصادى، نزعة المادية هى الجزء المقابل لنزعة المثالية عند هيجل. لقد كانت فلسفة هيجل تعالج تطور العقل والأفكار، كانت مثالية تجعل تطور الطبيعة والإنسان وعلاقات الناس الاجتماعية ناتجة عن تطور العقل، وقد احتفظ ماركس بفكرة هيجل عن حركة التطور الدائم، أعنى منهجه الديالكتيكى، أى نظرية التطور.

ولكن ماركس طرح وجهة النظر المثالية جانبًا، واعتبر أنه ليس تطور العقل هو الذى يفسر الطبيعة بل أن الأمر على العكس. . لقد كان هيجل يعتبر أن حركة الفكر، هذه الحركة التى يطلق عليها اسم الفكرة هى الصانع للواقع، بينما ماركس يرى حركة الفكر ليست إلا انعكاسًا لحركة المادة منقولة إلى فكر الإنسان ومتحولة فيه، فالحركة عند ماركس شكل وجود المادة. . فمثلا ذوبان الثلج وتحوله إلى ماء، هذه الحركة من الجامد إلى السائل أعطت العقل فكرة أن الثلج يذوب بالحرارة، فكأن كل المعانى والأفكار التى يحتويها العقل الإنسانى هى من حركة المادة فى الطبيعة، واعتبر ماركس أنه لم يوجد ولا يمكن أن يوجد فى أى مكان مادة بدون

(١) دكتور مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه - الجزء الثالث ص ٤٦.

حركة ولا حركة بدون مادة. ومن ثَمَّ اعتبر ماركس أنه بما أن إنتاج العقل الإنسانى هو آخر التحليل نتاج الطبيعة، وهكذا لا يوجد فى رأى ماركس إلا المادة أما الأفكار والوعى فهى مظاهر لاحقة وناتجة عن تحول حركة المادة فى العقل إلى أفكار ووعى.

وهكذا اقتنع ماركس بأنه يجب جعل علم الاجتماع منسجمًا مع الأساس المادى وإعادة بناءه استنادًا إلى هذا الأساس، فالمادية هى لب النظرية الماركسية، ولكن ماركس -لم يتوقف على حد تعبيره- عند مادية القرن التاسع عشر، إذ اعتبر أن المادية القديمة كانت تتوقف عن معرفة الطبيعة وهو انتقل بها إلى معرفة المجتمع البشرى. وبذلك اعتبر ماركس أنه بتوسيع المادية لتشمل الظواهر الاجتماعية قضى على عيوب النظريات التاريخية السابقة له، إذ لم تكن تلك النظريات فى رأيه تأخذ فى اعتبارها غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخى، دون أن تبحث عما يولد هذه الدوافع، ودون أن تدرك القوانين الموضوعية التى تحكم وتطور نظام العلاقات الاجتماعية، ودون أن نرى جذور هذه العلاقات فى درجة تطور الإنتاج المادى.

فالمادية هى لب النظرية الماركسية، فهى تنتمى إلى نزعة الحتمية الاقتصادية التى تذهب إلى أن العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسى لبناء المجتمع وتطوره، وأنها أوضحت عملية ظهور جماعات المجتمع الاقتصادية وتطورها وانهيارها، وذلك عن طريق تحليلها لمجموعة الاتجاهات المتناقضة وردها إلى ظروف المعيشة والإنتاج لمختلف طبقات المجتمع.

ويعبر ماركس عن ذلك فى عبارته المشهورة فى مقدمة كتابه مساهمة فى نقص الاقتصاد السياسى (أن الناس أثناء الإنتاج لحياتهم، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن إرادتهم، وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية، وتؤلف مجموعة علاقات الإنتاج البناء الاقتصادى للمجتمع، أى الأساس الواقعى الذى يقوم عليه بناء أعلى تشريعى وسياسى وتطابقه أشكال معينة من الوعى الاجتماعى. إن أسلوب إنتاج الحياة المادية يشترط

تفاعل الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بصورة عامة. فليس إدراك الناس هو الذى يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الاجتماعية هى التى تعين إدراكهم. وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها، تدخل فى تناقض مع علاقات الإنتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية -وليست هذه سوى التعبير القانونى لتلك- التى كانت إلى ذلك الحين تتطور ضمنها. فبعد أن كانت هذه العلاقات أشكالاً لتطور القوى المنتجة، تصبح قيوداً لهذه القوى. وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية، ومع تغير الأساس الاقتصادى يحدث انقلاب فى كل البناء الأعلى الهائل بهذا الحد أو ذلك من السرعة[1].

هذه الفكرة هى محور النظرية الماركسية فى التغير، فهى تعتبر أن الأسلوب الاقتصادى السائد فى الإنتاج والتبادل يشكل فى كل حقبة تاريخية معينة مع التنظيم الاجتماعى المنبثق بالضرورة عنه، الأساس الذى يقوم عليه تاريخ هذه الحقبة السياسى والفكرى، والذى يمكن بالاعتماد عليه فقط تفسير التاريخ. فالماركسية تعتبر أن مرحلة النمو التكنولوجى تحدد أسلوب الإنتاج والعلاقات والنظم التى تكون النسق الاقتصادى. هذه المجموعة من العلاقات بدورها هى المحدد الرئيسى لكل النظام الاجتماعى.

ولكن فى رأى ماركس أن النظامين الاجتماعى والاقتصادى لا يتطابقا لأن النظام الاقتصادى يتغير نتيجة النمو التكنولوجى، والنظام الاجتماعى باق على ما هو عليه فقد أنشأ أيديولوجيته وأصبحت له مصالح مختلفة، ومن ثَمَّ يقاوم التغير. وهكذا يقع التناقض بين النظام القديم، وبين التصورات الفكرية التى انبعثت من تغير قوى المجتمع المنتجة وعدلت مفاهيم الناس عن أدوارهم فتقع الثورة.

وهكذا طبقًا لهذه النظرية التى يسميها أيضًا الماركسيون نظرية الصراع الطبقى افترض ماركس أن كل تاريخ البشرية هو تاريخ للصراع بين الطبقات بين الطبقة

(1) Marx, Karl: "A Contribution to Critique of Polititical Economey" trans. by N. I. Stone. New York. International Libarary Pubkeshing Co. 1914. P. 11.



obeikan.com

المستـغلة والطبـقة المستـغَلة[1]. ذلك أن ماركس يفـترض أنه فى مـرحلة الإنتاج الرأسمالى حيث صاحب رأس المال يملك وسـائل الإنتاج ويحقق أرباحًا طائلة من فائض قيمة عمل العمـال. فصاحب رأس المال هذا يأخذ النصيب الأكبر من الربح ولا يعطى العامل إلا ما يقيم حياته.

**إذن المشكلة كلـهـا عند مـاركس تتلخص فى عـدم عـدالة تـوزيع عـائد الإنتـاج بين صاحب رأس المال والعمال.**

ويلاحظ أن عدم عدالة التوزيع مـفهوم يتضمن عنصرًا أخـلاقيّاً. إذ أن التوزيع هو مفهوم اقتصادى، ولكن عدالته أو عـدمها فعل أخلاقى، ومفهوم التوزيع بذاته مجـردًا من كل صفة، أمر غـير موجود فى الواقـع الاجتماعى، ولكن مـا يعطيه الوجود الاجتماعى هو إضافة صفـة العدالة أو عدمها، ومن ثَمَّ فعدالة التـوزيـع أو عدمها فعل اقتصادى قائم على قاعدة أخلاقية توجهه. إذ أن الإنتاج بذاته لا يقوم بعملـية التوزيع، ولكن الـقائم بعملـية التوزيع هو صـاحب رأس المال، ومن ثَمَّ فعدالة التوزيع أو عدمها فكرة أخـلاقية فى تصورات الرجل الرأسمالى الذى يملك ويؤدى دور الموزع فى النظـام الرأسمـالى الذى أعـطاه هذا الحق. ومن ثَمَّ يتـضح بجلاء أن مفهوم عدالة التوزيع أو عدمها، هى علاقة اجتماعية ذات طابع اقتصادى أساسـها لا مادى. وذلك عكس مـا ذهب إليه ماركـس، ومن ثَمَّ فإن التغـير فى العـلاقات الإنتـاجيـة لم يؤد إلى تغـير فى البناء الأعلـى، ولكن البناء الأعلى بما يحتويه من تصورات فكرية وعناصر أخلاقية هو الذى يشكل العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادى، أى هو الذى وجه عملية توزيع الربح، أى أن هناك عنصرًا أخلاقيّاً سلبيّاً عند أصحاب رؤوس الأموال هو الذى أدى إلى سوء عدالة التوزيع. فلو أنه وجد العكس أى عنصرًا أخلاقيّاً إيجابيّاً فى تصورات البرجوازيين يؤدى إلى توجيه عملية التوزيع نحو العدالة، لما وجد ماركس مادة يستخرج منها نظريته.

والدليل على ذلك أن هـذه العمـلية تـغيـرت فى اتجـاه عكس مـا ذهب إليـه ماركس، فقد افـترض أن (نتيجة لاتساع اسـتعمال الآلات ولتقسـيم العمل، ضاع

(١) المستغلة: الأولى بكسر الغين، والثانية بفتحها.



obeikan.com

من عمل البروليتاريا كل صبغة شخصية، وضاع بذلك عنصر الإبداع فتلاشى من العمل جاذبيته وأصبح العامل عبارة عن ملحق بسيط للآلة لا يطلب منه إلا القيام بعملية بسيطة رتيبة سهلة التلقين. وبذلك أصبح اليوم، تكلفة العامل هى تقريبًا تكلفة وسائل المعيشة اللازمة للاحتفاظ بحياته والإبقاء على نوعه. إلا أن ثمن العمل كثمن أى بضاعة يساوى تكاليف إنتاجه، إذن كلما أصبح العمل باعثًا على الاشمئزاز هبطت الأجور)[1]. فالمشاهد أن أجور العمال لم تنخفض بل ارتفعت، أى أن أسلوب التوزيع فى القرن العشرين اتجه فى اتجاه مخالف لما تنبأ به ماركس، ومن ناحية أخرى لم يكن ذلك نتيجة لعوامل مادية، بل كان نتيجة لعوامل لا مادية أهمها انتشار التعليم والتضامن بين العمال، ونحو الاتحادات العمالية، وتدخل الحكومات فى العلاقة بين أصحاب رؤوس الأموال والعمال من أجل مصلحة المجتمع، ذلك كله أدى إلى مزيد من الديمقراطية وأدى إلى تغير فى التصورات الفكرية عند كل من أصحاب رؤوس الأموال والعمال عن العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادى، وخاصة وضوح فكرة أن كل منهما يؤدى دورًا فى مجتمع واحد يهم كل منهما نموه ورخاءه، وكل هذه عوامل لا مادية.

ومن الغريب أن ماركس نفسه أشار إلى أن المغير الحقيقى للبناء الأعلى ليس هو العلاقات الاقتصادية ذاتها ولكن هى عملية التثقيف والتدريب على ممارسة الحياة السياسية بين صفوف العمال فيعمل ذلك على تعديل تصوراتهم الفكرية ولكن استغراقه فى إعجابه بماديته ستر عنه الحقيقة التى جرى بها قلمه. فهو عندما يتحدث عن صراع البرجوازية ضد الإقطاع، واستغلال البرجوازية للعمال يقول: (وترى البرجوازية نفسها مضطرة، فى كل ميادين النضال هذه، إلى الالتجاء للبروليتاريا وطلب معونتها، فتجرها بذلك إلى مضمار الحركة السياسية وهكذا تقدم البرجوازية بيديها إلى البروليتاريا عناصر ثقافتها، أى أنها تسلمهم السلاح الذى سيحاربونها به)[2]. وفى موضع آخر يتحدث فيه ماركس عن الصراع الطبقى يقول: (يتخذ انحلال الطبقة الحاكمة والمجتمع القديم بأسره طابعًا يبلغ من حدته

(١) بيان الحزب الشيوعى- ٤٦.

(٢) المرجع السابق- ص٥٠.

وعنفه أن جزءًا صغيرًا من الطبقة الحاكمة نفسها ينفصل عنها وينضم إلى الطبقة الثورية، فكما انتقل فيما مضى قسم من النبلاء إلى جانب البرجوازية، كذلك فى أيامنا هذه ينتقل قسم من البرجوازية إلى جانب البروليتاريا، وخصوصًا القسم المؤلف من البرجوازيين المفكرين الذين تمكنوا من الإحاطة بمجموع الحركة التاريخية وفهمها بصورة نظرية).

ومن ثَمَّ فالتحول فى البناء الأعلى أى التصورات الفكرية طبقًا لأقوال ماركس هذه، لا يقبع فى العلاقات المادية ولا تحدثه عوامل مادية، ولكن يعتمد أساسًا على عملية التدريب والممارسة السياسية التى يباشرها العمال، فيتكون لديها عناصر ثقافتها. ذلك بالإضافة إلى عمليات التثقيف والتوعية التى يعمل بها مفكرو الحركة على تغيير مفاهيم العمال وتصوراتهم، فتدرك الطبقة العاملة التناقض فى علاقات الإنتاج أى تدرك عدم عدالة التوزيع.

وهكذا يلاحظ أن عدم عدالة التوزيع هى الفكرة المحورية فى النظرية الماركسية، وهذه الفكرة كما بينا نابعة من سلبية أخلاق البرجوازيين فى عصره، ولكن تعنت ماركس المادى أو أيديولوجيته أعمته عن هذه الحقيقة، وافترض أن عدم عدالة التوزيع راجعة لأن صاحب رأس المال يملك وسائل الإنتاج، واعتبر الملكية الخاصة هذه هى سبب استغلال أصحاب رؤوس الأموال لطبقة العمال. وبذلك أراد أن يمحو هذه الملكية الخاصة ويحولها إلى ملكية جمعية، ومن أجل هذا افترض أن هناك علاقة وثيقة بين النظامين الاقتصادى والسياسى حتى جعلهما كوجهى العملة لا يمكن فصلهما، فهو يقول: (إن كل الطبقات التى كانت تستولى على السلطة فيما مضى كانت تحاول تثبيت أوضاعها المكتسبة بإخضاع المجتمع بأسره لأسلوب التملك الخاص بها)[1]. ومن ثَمَّ جعل الطريق إلى تحويل الملكية الخاصة إلى ملكية عامة هو استيلاء البروليتاريا على السلطة، (ثم تستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لأجل انتزاع الرأسمال من البرجوازية شيئًا فشيئًا ومركزة جميع أدوات الإنتاج فى أيدى الدولة أى فى أيدى البروليتاريا المنظمة فى طبقة حاكمة)[2].

(١) المنشور الشيوعى- ص٥٢.

(٢) المرجع السابق- ص٦٦.

ومعنى هذا أن البروليتاريا، طبقًا لرأى ماركس ستخضع المجتمع بأسره لأسلوب التملك الخاص بها، ولكن ماركس لم يفته هذا التناقض الواضح، ولكنه لم يستطع أن يجد له الحل العلمى الموضوعى، ولكنه حل هذا التناقض بعبارة خلت من الواقعية وامتلأت بالشطحات الخيالية اليوتوبية إذ يقول: «ما أن يصبح كل الإنتاج متمركزًا فى أيدى جمعية واسعة تشمل الأمة بأسرها، حتى تفقد السلطة العامة صبغتها السياسية. إذ أن السلطة السياسية بالمعنى الصحيح هى السلطة المنظمة لطبقة من أجل اضطهاد طبقة أخرى، فإذا كانت البروليتاريا فى نضالها ضد البرجوازية تبنى نفسها حتمًا فى طبقة. وإذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة، ثم بصفتها طبقة حاكمة، تهدم بالعنف والشدة علاقات الإنتاج القديمة، فإنها بهدمها علاقات الإنتاج القديمة تهدم فى الوقت نفسه ظروف وجود التناقض والتناحر بين الطبقات بصورة عامة، وبذلك تهدم أيضًا سيادتها ذاتها من حيث هى طبقة»[1].

إن قول ماركس (يصبح كل الإنتاج متمركزًا فى أيدى جمعية واسعة تشمل الأمة بأسرها) قول يجافى الواقع، إذ كيف يتم ذلك فى مجتمعات يتراوح تعدادها بين عشرات ومئات الملايين؟؟. ومن ثَمَّ فهو قول يتصف بالخيال، إذ من الناحية الواقعية يصبح المجتمع سياسيّاً واقتصادياً خاضعًا لجماعة معينة من البروليتاريا وليس للأمة بأسرها أو حتى البروليتاريا بأسرها. ومن ثَمَّ ينشأ السؤال الآتى طبقًا لرأى ماركس نفسه، ما هى الضمانات حتى لا تتحول هذه الجماعة التى وصلت إلى السلطة إلى طبقة جديدة تحل محل البرجوازية، أعنى لا توفر عدالة التوزيع، لأن التوزيع واقعيّاً سوف يكون بيدها حيث أصبحت تملك واقعياً وسائل الإنتاج وخاصة أنها أيضًا تملك السلطة؟!

وإذا كان ماركس يظن أن الضمان، كما صوره له خياله الملتوى الذى لا يريد مواجهة الحقيقة. أن هدم علاقات الإنتاج القديمة هو هدم فى الوقت نفسه لظروف وجود التناقض والتناحر بين الطبقات بصورة عامة فإن هذا ليس إلا ضمان وهمى ليس له أساس علمى، فهو أحل طبقة مكان طبقة أخرى، كما يمكن أن تكون

(١) المنشور الشيوعى- ص٦٧.

مستغلـة كما كانت سابقتهـا، كما أن هدم العلاقات القديمـة إذا كان يضمن هدم التناقض القديم على حد قـوله، فإنه لا يضمن البناء الاجتمـاعى الجديد أو يحدد شكله أو اتجاه التغيـر فيه. فكأن النظرية الماركسية قـد استطاعت أن تهدم القديم، ولم تستطع أن تخطط لبناء المجتمع الجديد، أعنى أن تضع ضمانات عدالة التوزيع فى المجتمع الجديد.

ذلك كله يرجع إلى تعنـت ماركس المادى، وعـدم رغبـتـه فى الاعتـراف بأثر العوامل اللامادية، والأخلاقية بالذات فى توجيه الحياة الاجتماعية. ومن ثَمَّ تصبح الشيوعية أو الاشتراكية التى دعى إليها ماركس ما هى إلا أسلوبًا سياسياً واقتصادياً مثله مثل أى أسلوب اقتصادى أو سياسى وضـعه البشر لا يستقيم أمره إلا إذا توفر لدى القائمين عليه أخلاقيات إيجابية تضمن عدالة التوزيع.

﴿ **وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾** ﴾ [العصر: ١-٣].

**صدق الله العظيم**

***



obeikan.com

## روبرت بارك

## ROBERT PARK

## (١٨٦٤ - ١٩٤٢)

ولد بارك فى بنسلفانيا Pennsylvania، ابن رجل أعمال، وتعلم فى جامعات هارفارد ومينيسوتا Minnesota وبرلين، وكذلك تعلم الفلسفة وعلم النفس ولقد تأثر بجورج سمل George Simmel أثناء دراسته فى برلين ولقد تضمن تاريخ حياته العلمية اشتغاله بالصحافة، وأيضًا كان له دور قيادى فى قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو. ولهذا كان لأعماله مقام فى الفكر والتقدم الأمريكى مثل ما كان لأعمال جون دوى John Dewey وسمل. ولقد كان لبارك اتجاه إيكولوجى ecology فى دراسة المجتمع. وكان يركز انتباهه على المنافسة والصراع على أنهما أساس التغير الاجتماعى. وتتضمن مؤلفاته ضغط الهجرة وضبطها صدر ١٩٢٢ The Immigrat Press and its Control وكذلك مقدمة لعلم الاجتماع.

**أهدافه:**

كان بارك يعتبر أن علم الاجتماع يبحث عن (الوصول إلى قوانين طبيعية natural lawe وتعميمات generalizations فيما يختص بالطبيعة الإنسانية والمجتمع، بغض النظر عن الزمان والمكان. . . قانون طبيعى يكون تقرير يصف سلوك فئة من الأشياء)[1].

وكان بارك يعتبر المجتمع مثله مثل الأنساق الأخرى فى الطبيعة، ومن ثَمَّ ركز على أساسه الأيكولوجى وبصفة خاصة التوزيع المكانى للأفراد والجماعات. وكانت وجهة نظره فيما يختص بنظرية الصراع conflict theory تكمن فى تركيزه على الكفاح البيئى للإنسانية من أجل الوجود والبقاء، التى تؤدى إلى عملية

(1) Park, R.E. and Burgess, E.: "Introduction to the Science of Sociology" University of Chicago Press, Chicago 1921.



obeikan.com

ديناميكيـة مثل الصـر اع والتكيف والتى تصبح حالات مـؤقتـة فى النمو المستـمر للمجتـمع. وهكذا قدم بارك لنا نظرية فى الصراع أيكولوجية تشـبه نظرية ماركس فى تركيزها على الدور الرئيسى للمشاكل الاجتماعية.

ومن أجل ذلك استخـدم بارك أسلوب التاريخ الطبيعى، مع توليـفة من دراسة الحالة والدراسة لتاريخ الحـياة. هذا المنهج استخدم لتقـفى آثار مراحل تتابع التطور والنمو عند جميع مستويات النسق الاجـتماعى. وهنا يظهر أيضًا التشابه مع منهج ماركس من ناحية الاستقرار التاريخى.

## النظرية

افترض بارك أن أساس الاسـتقرار الاجتماعى يكمن فى عـملية التطور، وكان يرى أن التـوازن الاجـتـمـاعى Social equilibrium يقـوم على أسـاس التطور الاجتماعى.

وافتـرض أن الكائنات البشـرية دائمًا منشغلة وباسـتمرار فـى الكفاح من أجل الوجود والبقاء، وتصبح المنافـسة بينهم من أجل الحصول على هذا الهدف، وتلك هى العملية التى يتميز بها المجتمع الإنسانى.

واعتبر أنه من ذلك الكفاح ينبـعث نظام طبيعى يمكن رؤيته فى التوزيع المكانى للأفراد والجماعات، وأيضًا فى اعتمادهم بعضًا على بعض أى فى تساندهم.

فى داخل نظام الحياة biotic order السابق شـرحه تؤدى المنافسة إلى العـملية الأيكولوجية من السيادة والتعاقب.

وتصبح العمليات الاجـتماعية الرئيسيـة فى داخل هذا النظام تتكون من المنافسة Compitition والصراع والتكيف accomodation والتمثيل assimilation. تكمن الأولى فى العـملية التطورية التى تؤدى إلـى اللاحق من العمليـات الاجتـماعـية المتتابعة، وتؤدى واقعيّاً إلى التمثيل الثقافى Cultural assimilation. وهكذا تصبح العمليات الاجتماعية مؤسسة على القوى الطبيعية وخاصة المنافسة من أجل المصادر

وهذه تؤدى إلى تتابع تلك العمليات وهكذا يصبح الصراع عامل حياة وتطور ويؤدى إلى نتائج اجتماعية معينة. هذه الفكرة ليست مختلفة كلية عن فكرة الاغتراب عند ماركس التى تؤدى إلى الصراع من أجل المصادر وتؤدى إلى أشكال معينة من السيادة وفى النهاية تؤدى إلى أشكال معينة من التمثيل الثقافى.

واعتبر بارك أن النسق الاجتماعى يتكون من أسسه الأيكولوجية التى يقوم عليها نظمه الاقتصادية والسياسية والأخلاقية. وهذه النظم تتأثر بالقوى الهامة (المنافسة- الصراع). وفى مركز هذا النسق وظيفة الضبط الاجتماعى وهى المشكلة الرئيسية للمجتمع.

من خلال هذه النظرية الديناميكية للمجتمع تعتبر نظرية بارك أن التغير الاجتماعى يتقدم خلال تتابع معين، أولاً عدم الرضى ثم القلق (أهمية القلق الاجتماعى أنه يقدم تحطيمًا للروتين المؤسس وإعدادًا لعقل جمعى جديد)[1]،

ومن ثَمَّ تنبعث الحركات الاجتماعية Social movements لتؤدى إلى تحسين النظم وإعادة بنائها (فالقلق الاجتماعى يأخذ شكلا فى حركات الجمهرة والجماهير وأخيرًا يتبلور فى نظم)[2].

وافترض بارك أن مفهوم الفرد عن ذاته ناتج عن موقفه الاجتماعى فى تدرج مكانات المجتمع.

وأخيرًا قدم لنا بارك هرمًا من المفاهيم عن مستويات التنظيم. عبارة عن نموذج أيكولوجى للنسق الاجتماعى. وجعل أساس ذلك النسق نظامه الأيكولوجى (المدنية والمجتمع)، ويتكون من التوزيع المكانى للأفراد والجماعات أثناء كفاحهم من أجل المكان الصحيح للاستخدام (المصادر) وأوضح مثل على ذلك الصراع المرير الذى دار بين الهنود الحمر والأمريكيين البيض المهاجرين، وتلك بؤرة العملية الأيكولوجية. ثانيًا: النظام الاقتصادى ويهتم بالإنتاج والاستهلاك للسلع والخدمات. ثم بعد ذلك النظام السياسى ويركز على إيجاد حل للصراع من خلال

(1) Ibid: P, 686.

(2) Ibid: P, 874.

تفسير الجزاءات الاجتماعية وتحديد ما إذا كان فعل ما يقع تحت طائلة الجزاءات الاجتماعية. وأخيرًا النظام الأخلاقى الذى يكون فى أعلى مستوى وينظم ويرتب النظم التى أسفله من خلال عمل المعايير والتراث الاجتماعى للمجتمع بصفة عامة.

والنسق العام للتنظيم الاجتماعى يتأثر بالقوى الأيكولوجية من السيادة والتعاقب، وكذلك يتأثر بالمراحل المتتابعة للاحتكاك وهى المنافسة والصراع والتكيف ثم أخيرًا تمثل الثقافة، وهذه المراحل المتتابعة من الاحتكاك تعمل أيضًا عند مستوى الوحدات الصغرى من خلال مفهوم الفرد عن ذاته.

ويلاحظ أن المراحل المتتابعة عند بارك واسعة جداً وعامة جداً حتى أنها تجعل فائدتها واستخدامها النظرى والتطبيقى مستحيل، إذ أنه من المصعب جداً أن نفرق تجريبيّاً بين كل مرحلة.

كما أن مرحلة التمثيل عند بارك فجة وغامضة، ويمكن أن يقال إنها تركز حول الذات فى تأكيدها على تمثل الأقليات فى ثقافة الصفوة.

***



obeikan.com

# فلفريدو باريتو
# VILFAREDO PARETO

## (١٩٢٣ - ١٨٤٨)

ولد باريتو ابنا لأحد النبلاء الإيطاليين وأم فرنسية، ولهذا كان يتقن الإيطالية والفرنسية. ولقد تعلم الاقتصاد والعلوم والفلسفة، وكان تاريخ حياته العلمية فريدًا فقد تقلب فى وظائف متباينة كل التباين فمن مهندس استشارى بالسكة الحديد، إلى مراقب مناجم الحديد، إلى أستاذ للاقتصاد فى جامعة لوزان، إلى عضو فى مجلس الشيوخ الإيطالى. وإلى جانب ذلك شارك فى الحياة السياسية، فمارس ألوان الصراع السياسى فى إيطاليا والكفاح من أجل الحرية والوحدة، وأيضًا الصراع بين أحزاب اليسار واليمين. وكان شارحًا لأفكار مكيافيللى والوضعية والداروينية الاجتماعية. ومن أهم منشوراته: دروس فى الاقتصاد السياسى (٩٦- ١٨٩٧) Course in Political Economics، والنظم الاشتراكية (١٩٠١) The Socialist Systems، ومقدمة عامة فى علم الاجتماع (١٩١٥) General Treatise on Sociology.

**أهدافه:**

كان هدف باريتو الرئيسى تحديد وتفسير القوى الحقيقية التى تحدد حالة التوازن فى النسق الاجتماعى، بمعنى البحث عن العوامل التى تعمل فى النسق والعناصر التى ترد عليها من النسق وبذلك يتحقق التوازن. هذه النظرة تتضمن تركيزًا على الديناميكيات الاجتماعية للصراع والتغير، وتغض النظر كثيرًا عن المواقف الاستاتيكية. ويقع وراء الصراع والتغير عناصر أولية تتعلق بالوحدات الصغرى وتتكون من حالات نفسية، وعقلية اجتماعية Social rationales التى بدورها تحدد الفعل الاجتماعى والعمليات الاجتماعية: فنظريته معيارية واستقرائية، وذات أساس طبيعى يظهر فيه فكرة الرواسب residues القائمة على الطبيعة البشرية، كعناصر أولية فى فهم المجتمع.



obeikan.com

## نظريته

الافتـراض الرئيسى عنـد باريتو هو تقـسيمـه النشاط الاجـتمـاعى إلى نمطين كبيرين:

١- منطقى Logical الذى فيه النهـاية الموضوعية Objective end والغرض الذاتى Subjective Porpose متطابقـان، بمعنى أن يستطيع الفـاعل أن يحقق غـرضه الذاتى بأسلوب مـوضوعى. وهذا يتطلب أن تكون الوسائـل لتحقـيق الهدف أيضًا موضوعية فى إطار أفضل معرفة متاحة.

٢- النمط الثانى الذى فيه تختلف النهاية الموضوعية عن الغرض الذاتى.

واعتبر باريتـو أن معظم كتلة النشاط الاجتماعى تتكون من الأفـعال اللامنطقية nonlogic actions المؤسـسة على حـالات نفسـية (عـواطف Sentiments)، وقائمـة على الطبيعـة البشرية مع غـريزة التآلف Instinct for combination، بمعنى غريزة التوليف بـين الأشياء والأفكار وتكوين رواسب residues أو قوى اجتماعية.

واعتبر أن الأفكار اللامنطقية هى أسس لعدد من أنماط القوى أو الرواسب التى تحدد التوازن الاجتماعى. وتنقسم هذه الرواسب إلى ستة فئات:

١- غريزة التـآلف وهى تعمل على اندماج الأنواع المتـشابهة، والأشـياء والأفكار وتكون رواسب توجه الفعل الإنسانى.

٢- الجمـاعات الدائـمة Group Persistences مثل الأسـرة والعلاقـات الأسرية، والميل إلى المحافظة على هذه التجمعات.

٣- الحاجة إلى التعبير عن المشاعر بالأفعـال الخارجية مثل الصلاة أو التصفيق عند الاستحسان.

٤- الرواسب المتـصلة بالائتناس بالجمـاعات البـشرية Residues connected with Sociabilty وهى تتعلق بالرغبـة فى التطابق مع الجماعة والامتثـال لتقاليدها، ويدخل ضمنها الشفقة، والقسوة والتضحية بالنفس.



obeikan.com

٥- رواسب تكامل الفرد مع أقرانه، وتتعلق بالمساواة والتكامل، أى محافظة الفرد على عدم اغتصاب حقوقه مما يخفض من مكانته عن أقرانه، أو يخفض من قوميته بين القوميات الأخرى.

٦- رواسب الجنس، وهى غريزة عند الإنسان.

واعتبر باريتو أن هذه الرواسب أو القوى الاجتماعية تحدد الفعل الاجتماعى، والتوازن الاجتماعى.

واعتبر أن الرواسب يقويها اجتماعيّاً مشتقاتها التى ما هى إلا تبريرات عقلية للرواسب، فالمشتقات وظيفتها إفضاء المعقولية أو الرشد الاجتماعى Societal rationalizations، فإذا كانت الرواسب وراء السلوك الإنسانى غير المنطقى فى معظمه، فإن الحاجة الإنسانية إلى المنطق أى إلى إضفاء المعقولية على أفعالهم تدفعهم إلى هذه التبريرات أى إلى المشتقات drivations.

ولقد صنف باريتو المشتقات إلى فئات:

١- التأكيد assertion، أى ذكر حقائق واقعية أو متخيلة لتبرير العقل.

٢- السلطة authority الاعتماد على مصادر لها هيبة وسلطة مثل أى نوع من العادات له سلطة لتبرير الأفعال من خلال ما تقوله هذه السلطة.

٣- التطابق مع المشاعر والمبادئ تبرير الأفعال لأنها تسر الآخرين أو تواسى الآخرين، أو تحقق مصالح الآخرين.

٤- براهين لفظية والتى تعنى استخدام الألفاظ البلاغية أو الأمثلة الشعبية.

وهكذا تعمل الرواسب فى الواقع الاجتماعى مستندة إلى مشتقاتها أو تبريرها أو ترشيدها المعيارى.

واعتبر باريتو أن هذه الرواسب تتوزع فى المجتمع خلال البناء الطبقى، وتعمل من أجل التوازن والتساند. وبما أن توزيع هذه الرواسب يتغير، وبصفة خاصة الفئتين:

١- غريزة التآلف. ٢- الجماعات الدائمة.



obeikan.com

على أى حال يتـغير هذا التوازن فى شـكل من الدوران بين الصفوة الحاكـمة، والصفوة غيـر الحاكمة. التغير فى توزيع الرواسب عند الصفـوة الحاكمة بأن تمتص مزيدا من العناصر المتـدهورة، والصفوة غير الحـاكمة تنمى بينها عناصـر أكثر من النوع المتـفوق، ذلك بصنع الثـورة، وتؤدى إلى الدوران بين نوعـين من الصفـوة الحاكـمة وتلك هى الأسود التى تحـركها فئـة الجماعـات الدائمة، أى التى تتمـيز بالمحافـظة، والذئاب التى تحركـها غريزة الـتآلف، وتصبح دورة الأسـود والذئاب مستمرة ودائمة، وتعتمد على تغير توزيع فئات الرواسب(١، ٢).

ذلك يعنى أن الدورة عبـارة عن الصفوة الحـاكمة يغـريها الحكم على امتـصاص عناصر منحطة فـتظهر عيوبهـا وتهتز مكانتهـا، بينما جماعـة الذئاب تمتص عناصر مرتفعة فتـرتفع إلى صفوة حاكمة، وبدورها يغريها الحكم فـتمتص عناصر منحطة وليست بالضرورة من النوع الذى يؤدى إلى تدهور الأسـود، لأن كل منهما تختلف رواسبـه عن الآخر. وهكذا يكون المجتـمع فى توازن ديناميكى معـتمدًا على تغـير توزيع الرواسب، التى تؤدى إلى استمرار المنافسة والصراع، وبالتالى دورة الصفوة.

ويلاحظ هنا أن باريتو قسم الصفوة إلى حاكمة وغير حاكمة، ومن ثَمَّ فمجموع الشعب ليس له وجـود فى هذه الدورة وجعل منه مجرد تابع، يسـتغله كل فريق. بل دعى باريتو الـصفوة أن تحـافظ على ما فيـه الجماهيـر من جهل، وأن تسـتغل الخرافات التى تسود بين الجماهيـر الجاهلة، ولكن يجب أن لا تصدق الصفوة هذه الخرافات، بل أن تستغلها فقط فى التغرير بالجماهير.

وهكذا ترى أن نظرية باريتـو تقدم لنا نمطين من الصـفوة الاجتـماعيـة الأسود والذئاب. الأسود تسود بواسطة الراسب رقم (٢) الجماعات الدائمة فلديهم مشاعر قوية بالولاء للتـجمعات الدائمة مـثل الأسرة والقبيلة والمدينة والأمـة. وتتمثل فى الصفوة العسكرية، وتركز على الولاء والتماسك والوطنية والمحافظة وتعتبرها القيم الأساسـية، وهى مسـتعدة ومـجهزة لاستـخدام القوة عنـد الضرورة، وفى ظلهم يحدث الثبات للمجتمع أى تسود نزعة المحافظة.

أما الذئـاب فهم عكس ذلك يتـميزون بالراسـب الخاص بغريزة التـآلف، وهم غالبًا رجال أعمال وماليين ويتميزون بالمغامرة، فيحدث التغير السريع فى المجتمع، فلديهم القدرة على النمو المتزايد للإمبراطورية السياسية.

ومن ثَمَّ تعتبـر نظرية باريتو طبيعيـة (الغرائز) نسقية (المجتـمع) ديناميكية (دورة الصفوة) ذات اتجاه يميل نحو الصراع، وتختلف عن نظريات ماركس وبارك، وفى أنها طبقية أكثر منها اجتمـاعية، والاختلاف الرئيسى يكمن فى اعتباره أن الظواهر المعيارية تحدد الظواهر المادية وليس العكس كما عند ماركس.

***



obeikan.com

# ثورثتين فبلن
# THORSTEIN VEBLEN

## (١٩٢٩ - ١٨٥٧)

ولد فبلن فى واشنجتن Washington، عن أبوين من النرويجيين المهاجرين. وتعلم فى كلية كارلتون Carlton الكلاسيكيات والفلسفة والاقتصاد. ولقد كانت حياته العملية شديدة التنوع، فإلى جانب حياته الأكاديمية باشر كثيرًا من أعمال الخدمة المدنية. ويلاحظ أنه فى طفولته نشأ منتميا إلى طبقة منخفضة بحكم أنه ابن لمهاجرين جاءا إلى الولايات المتحدة سعيًا وراء حياة أفضل، كما أنه فى فترة حياته الأولى عاش تحت وطأة التوسع الصناعى الأمريكى فكانت حياته القلقة سببًا فى دفعه إلى المشاركة فى الحياة السياسية.

ولقد ركز فبلن فى دراساته على العلاقة المتبادلة بين الاقتصاد والتطور الاجتماعى، وكان فى ذلك متأثرًا بالنظريات التطورية والنظريات العملية Pragmatism، ولهذا يعتبر تطوريّاً عمليّاً. وأهم مؤلفاته هى نظرية الطبقة المترفة (١٨٩٩) The Theory of the Leisure Class ونظرية مشاريع الأعمال (١٩٠٤) The Theory of the Business Enterprise والغريزة التصنيعية (١٩١٤) The Instinst of Workmanship.

**أهدافه:**

كان هدف فبلن الرئيسى هو دراسة تطور البشرية باستخدام الأسباب الاجتماعية أكثر من أسباب الاقتصاد البحت الكلاسيكى. وتبعًا لذلك فقد وضع نظرية عن التطور التكنولوجى متتبعًا تأثير غريزة الإنسان الاقتصادية فى العمليات الاجتماعية مثل المنافسة والتغير الاجتماعى. ومثل ما فعل بارتو. استخدم العوامل الطبيعية فى وضع نظرية استقرائية عن الصراع الاجتماعى، ولكن يختلف فبلن عن بارتو، فى أن فبلن ركز على الاقتصادية بينما بارتو ركز على العوامل المعيارية. ولهذا كان تركيز فبلن على دراسة الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا،



obeikan.com

مستخدمًا دراسة علمية من وجهة نظر الشك skeptic. وكانت معظم مادة البحث تاريخيـة واقتصادية، واسـتعان بعلم الآثار إذ أنه كان يـهتم بتتبع عـمليات التطور التكنولوجى خلال مـراحلها العظمى فى عدد مـختلف من المجتـمعات فهـو كان معتمدًا على الاستقراء التاريخى.

## نظريته فى التطور الاجتماعى

كان افتراضه الرئيسى أن الطبيعة البشرية تتكون من ثلاث سمات:

١- رابطة أبوية Parental bent.

٢- غريزة الصناعة أو الكفاءة العملية
The instinct of workmanship or Practical efficiency.

٣- فضول Idle curiosity.

واعتبر أن هذه السـمات الثلاث تمثل أسس النظم الاجتماعية بل اعـتبر فبلن أن الفضول الناقل لـلحركة هو الذى يؤدى إلى التغيـر التكنولوجى وأنه المحرك الأول فى التطور الاجتماعى والتغير الاجتماعى.

واعتبر أن عمليـة التطور الاجتماعى تبتدئ بتغيـر فى القيم الإنسانية التى تؤدى إلى التطور التكنولوجى. والتكنولوجيا بدورها تؤدى إلى تغير فى القيم والأفكار. وهكذا اعتبر أن عملية الحياة الاقـتصادية تؤدى إلى تراكم عمليات تكييف الوسائل للغايات، وذلك بصفة دائمة ومستمرة.

وجـعل فبلـن أساس نظريتـه فكرة المصـالح الاقـتصـادية economic interest الإنسانية التى تفسر عملية النمو الثقافى cultural growth وتفسر أيضًا توالى تراكم العناصر الثـقافيـة فى النظم الاقتصـادية. ولهذا يمكن اعتـبار فبلن من أصـحاب نظريات الحتمية الاقتصادية Economic determinizm.

واعتبر فـبلن أنه فى داخل عملية النمو الثقافى يكون التطور عضـوى ومتساند، وكل مرحلة تبرز وتمثل توازنًا تكنولوجيا، الذى فـيه يكون للأدوار المتبادلة للأجزاء خصائص التأييـد المتبادل والتساند، حتى أن أى إضـافة أو نقص لجزء جوهرى فى

أى نقطة يؤدى إلى الارتباك سواء كان قليلا أو كثيرًا، وذلك فى كل جوانب المنطقة الحادث فيها الإضافة أو النقص. وهنا يبدو واضحًا أن فبلن فى هذه النقطة يميل إلى الاتجاه التكنولوجى الوظيفى، إذ يستخدم فكرة التساند والاعتماد المتبادل لأجزاء الكل، وتلك أفكار أصحاب المدرسة الوظيفية.

وأيضًا اعتبر أن التطور ما هو إلا تراكم وعمليات كرد فعل لمشاكل المواد المتغيرة، ويمثل التطور تكيفًا مختارًا وتنافسيًا مع البيئة.

واعتبر أن هذه العملية التطورية تتقدم خلال عدد من المراحل المتمايزة:

١- يبتدأ المجتمع بمرحلة التوحش السلمية وهى تمثل الفترة الأولية والأكثر طبيعية للوجود الإنسانى. وفى هذه المرحلة كان الناس مرتبطين عن قرب بالطبيعة، وهناك قليل جداً من تقسيم العمل، وكانت غريزة الصنعة تعمل فى حرية تامة، وكان الدين المحور الرئيسى للمجتمع، وكان هناك أعلى مراحل التضامن الاجتماعى والجمعية.

٢- ومع النمو الاقتصادى جاءت مرحلة البربرية المنخفضة. وفى هذه الفترة ابتدأ تقسيم العمل، وانبعث تمايز بغيض تبعًا لظهور الملكية الخاصة.

٣- وفى المرحلة البربرية الأعلى، كانت أكثر سلبية، إذ زادت الثروة والملكية الخاصة، وظهرت طبقة المترفين، كما ظهرت طبقة الصفوة من الاحتكاريين، وهكذا تولدت الأسس الاجتماعية للرأسمالية.

٤- وفى المرحلة الرابعة والتى تعتبر أكثر المراحل سلبية، إذ وصل فيها المجتمع إلى المرحلة المالية، والغرائز الطبيعية وصلت إلى أكثر مراحلها انحرافًا، وأصبح الترف والاستهلاك واضحًا للعيان، ويسود النظام الاقتصادى التشهير والحرب، والعلاقات الاجتماعية آلية، ولا شخصية، وأصبحت القيم شديدة المادية، والدوافع سواء عند مستوى الأفراد أو النظم أساسها المكاسب الفردية، ومن ثَمَّ تؤدى هذه الحالة إلى أن يسود المجتمع صفوة من رجال الأعمال،وهكذا تصل الرأسمالية والبيروقراطية إلى أعلى مراحلها، وهى أعلى مراحل اللاطبيعية unnatural.

فى هذه المرحلة تكون سمات الطبيعة البشرية قد تشوهت وانحرفت تمامًا. وفى هذه الحالة يقـود الفضول المحرك إلى تغـيرات تكنولوجية التى تؤدى إلى المنـافسة والصراع ونسق اقتصادى وطبقة استغلاليين.

وأخيرًا كان يهتم فبلن بالعمليات الاجتماعية المتبادلة مثل التثقيف acculturation والاستعارة الثـقافية cultural browing، وتهجين الأفكار corssbreeding of ideas وبهذا الخـصوص كان فبـلن يرى أن بعض المجتمعـات أكثر قـدرة من الأخرى فى تكييف الأفكار الخارجية لأغراضـهم الخاصة، ومن ثَمَّ يكون لديهم مزيدًا من القدرة على الإسراع فى تطورهم التكنولوجى.

وهكذا يمكن القول أن نظرية فبلن تمثل رد فعل عملى لآثار التصنيع خلال فترة حياته أى فى عصره. ولذلك أنشأ نظرية عن الصراع الاجتـماعى طبيعية (استخدم فيهـا العوامل الطبيعـية) وتطورية وحتمـية اقتصـادية، والعملية الرئيسـية فى هذه النظرية تتكون من التطور التكنولوجى والاستعارة الثقافية.

***



obeikan.com

## نظريات الصراع المعاصرة

### الظـروف الاجـتماعية

بينما تسود النزعة الوظيـفية البنائية معظم النظريات المعاصـرة فى علم الاجتماع إلا أن نظريات الصراع المبكرة والتى تعـتبر جزءًا من علـم الاجتماع استـمرت فى إظهار انعكاسـاتها على نظريات علم الاجـتماع، وخاصـة حول صراع الطبـقات المعاصـر وما أفرزته التـأثيرات السلبيـة للتصنيع والتـحضر من مـشاكل فى داخل المجتمع الحديث.

وهكذا نرى أن نظريات الصراع الحديثة المعاصرة تمثل رد فـعل جماعة معينة من المثقـفين لعـدد من الظروف الخاصـة، تتضمـن هذه الظروف المستوى الـعالى من الصراع الاجتـماعى بصفة عامـة وصراع الأجناس بصفة خاصـة كما فى الولايات المتحـدة ووسط وجنوب أفريقـيا، وكذلك مـعالجة التـأثيرات الضاغـطة والكابتة للبيروقراطية bureaucratization والتصنيع industrialization، وتطبيق الاتجاهات الإصلاحية لمعالجـة المشاكل الحديثة للتصنيع والتحضر. وعلى أى حـال فهى تعتبر محاولة لتطبيق تقدمـية القرن الثامن عشر فى حل مشاكل المجـتمع الحديث، فهذه النظريات المعاصرة تمثل استخدامًا لنموذج الصراع التقليدى (المبكر) لمشاكل المجتمع المعاصر.

وتعتبر هذه النظريات المجتـمع كنسق، نسق فى حالة تطور يتكون من جماعات تتنافس من أجل المـصادر وتحكمـهـا صـفـوة سائدة. وتحـدد مـخـتلف الظروف الاجتماعية والديموجرافية مدى كـثافة واستمرار وشكل الصراع الاجتماعى. بينما البناء الاجتمـاعى يعبر عن نمط السيـادة الموجود فى المجتمع فى مرحـلة معينة من تطوره.

وتستـخدم نظريات الصـراع المعاصـرة هذا النموذج للمـجتمع الحـديث برسم الظروف الاجتماعية التى تحـدد الصراع، والبناء النظامى للسيادة وتأثيرات الصراع، وكذلك العملـية عند المستوى السسـيوسيكولوجى. ومن ثَمَّ إلى مدى بـعيد يمكن

القول إنها تشبه نظريات الصراع التقليدية فى أساسها ولكنها نسقية فى شكلها، ولهذا فهى تشبه البنائية الوظيفية فى الشكل ولكنها تختلف تمامًا فى محتواها الأيديولوجى.

وسوف نعرض نمطين من نظريات الصراع المعاصرة:

**الأول: النمط النسقى**: الذى يركز على العوامل الاجتماعية التى تحدد عملية الصراع.

**الثانى: النمط الطبيعى**: الذى يصف المحتوى اللااجتماعى والديموجرافى للصراع.

ويمثل كل من داهرندروف Dahrendorf وميلز Mills النمط الأول، بينما كورز Coser فى اعتماده على سمل Simmel والمناظرة العضوية، وريسمان Riesman فى تركيزه على العوامل الديموجرافية يمثلان النمط الثانى.

ويلاحظ أن مثل هذا التصنيف ما هو إلامسألة درجة فقط، وبصفة خاصة فى نظريات الصراع المعاصرة حيث لا يوجد التفسير الطبيعى الخالص، إنما الاختلافات هنا تتعلق بنوع العوامل التى ركز عليها المنظر كعوامل أولية من أجل فهم الصراع الاجتماعى.

***



obeikan.com

# تشارلز رايت ميلز
# G. WRIGHT MILLS

## (١٩١٦ - ١٩٦٢)

حصل ميلز على شهادة الدكتوراه من جامعة وسكنسن Wisconsin سنة ١٩٤١، وعمل مع هايز جيرث Hans Gerth وهو عالم اجتماع ألمانى وكذلك مع هوارد بيكر Heward Beker. وقد ترجم مع زميله جبرث أهم أعمال ماكس فبر. وفى سنة ١٩٤٦ عمل أستاذًا للاجتماع فى جامعة كولومبيا Colombia. وكان موضع اهتمام ميلز دراسة الصراع أنماط التطرف. وقد اشتهر بنقده التحليلى لرأسمالية المجتمع الأمريكى.

وتضمنت أعماله الرئيسية مؤلفه الياقات البيضاء (١٩٥١) White Collar ومؤلفه قوة الصفوة (١٩٥٦) Power Elite. وكذلك كتاب الخيال السسيولوجى (١٩٥٩) Sociological Imagination.

**أهدافه:**

كان اهتمام ميلز يتركز حول تنمية ما أطلق عليه اصطلاح الخيال السسيولوجى من أجل فهم المنظر التاريخى، وذلك فى مصطلحات من معانى (الحياة الداخلية والمسيرة الحياتية (الخارجية) لأفراد متباينين)[١].

وتتضمن نتائج هذا النمط من الفهم الانشغال والاهتمام بالمواضيع العامة فى المجتمع، ووعيا وانتباهًا أكبر للعلاقات بين التاريخ والبيوجرافى biography، وكذلك الوعى بفكرة البناء الاجتماعى، وأيضًا الفهم المرتب للناس والمجتمعات[٢].

ولهذا يسأل ميلز ثلاثة أنواع من الأسئلة:

١- ما هو بناء هذا المجتمع المعين ككل؟

---

(1) Mills: Sociological Imagination" Grove Press, New York, 1961, P.5.

(2) Ibid.: P. 7.



obeikan.com

٢- أين يقف هذا المجتمع فى المجتمع الإنسانى؟

٣- أى النوعيات من الرجال والنساء السائدة فى هذا المجتمع وفى هذه الفترة؟[١].

وتعطى هذه النظرة اهتمامًا كبيرًا، بل وتركز على الفهم المقارن للبناءات الاجتماعية التى تظهر والتى توجد الآن فى تاريخ العالم[٢].

وفى دراسته هذه حاول استخدام هذا المنظور فى الفهم السسيولوجى للقوة والتدرج الاجتماعى فى المجتمع الأمريكى المعاصر من أجل (استيعاب ثم إلى مدى بعيد يمكن القول أنها تشبه نظريات الصراع التقليدية فى أساسها ما يجرى فى العالم)[٣]. وهكذا كانت محاولته إلى جانب أنها نظرية فهى أيضًا تطبيقية عملية.

ومن أجل هذا استخدم ميلز الأفكار المبكرة التى ولدها ماركس وفبر، وصنع ميلز تحليلاً لاتجاه القهر للرأسمالية الأمريكية الحديثة، والذى تظهر فيه تأثيرات الترشيد المتزايد وتوالى المايد من التركيز ، والصفوة، والضبط، واغتراب الأفراد.

## نظريته

وضع ميلز عدة افتراضات تدور حول طبيعة الحقيقة الاجتماعية والتأثيرات الاجتماعية للرأسمالية الصناعية (industrial capitalism).

افترض ميلز أن الحقيقة الاجتماعية تمثل توليفة من البيوجرافى والتاريخ. وتقاطعاتها فى داخل البناءات الاجتماعية[٤]، وهو يعنى بذلك (استيعاب التاريخ والبيوجرافى والعلاقة بين الاثنين)[٥]. ويلاحظ أن هذه الوضعية هى ماكروسكوبية macroscopic وأيضًا ميكروسكوبية microscopic (ذلك لأنها تأخذ فى اعتبارها أن تقلب خبرات الأفراد اليومية فى الإطار المرجعى لفهم المجتمع الحديث)[٦].

---

(1) Ibid.: P. 7.
(2) Ibid.: P.134.
(3) Ibid.: P. 7.
(4) Ibid.: P.134.
(5) Ibid.: P. 6.
(6) Mills. "Whiet Collar, The American Middle Classes" Oxford Universty Press, New York, 1956. P. XX.



obeikan.com

وافترض ميلز أن التأثير الرئيسى للترشيد هو زيادة فى التركز centralization، وما يتبعه من نزعة الصفوة elite، وفى مؤلفه قوة الصفوة، وصف ميلز هذه الصفوة على أنها تتركب من قمة الشريحة المنفذة للمشاريع الكبرى والنظام السياسى والمؤسسة الحربية. ويمتلك أعضاء هذه الصفوة صفات معينة متشابهة وأصول اجتماعية متشابهة، وقابلية تبادل الأدوار، وقدرة العمل فى سرية، كما تمتلك أيضًا مقام ومكانة وثقة فى نفسها عالية جداً، ولكن ينكرون ويخفون قوتهم، وهكذا يتخذ المجتمع تحت ضبطهم شكلاً معينًا عبارة عن

١- الصفوة.

٢- مستويات متوسطة من القوة (شبه منظمات ميتة).

٣- وعند مستوى القاع يوجد جمهرة المجتمع ويمثلون سوق مضبوطة تمامًا[١].

وتتكون نتائج المزيد من الترشيد من مستويات عالية من تركيز النظم وضبط الصفوة.

واعتبر ميلز أن الترشيد يؤثر فى البناء المهنى، وتنهار المشاريع الفردية بحدة، وفى الوقت نفسه تتزايد بحدة نسبة الموظفين المستخدمين أى الذين يعتمدون فى حياتهم على وظائفهم. وهذا بدوره يؤدى إلى زوال الأفراد المستقلين ونشأة فكرة الرجل الصغير الضئيل فى العقل الأمريكى[٢]. وفى هذه الحالة يستخدم مزيد من الضبط لكل مستويات البناء الاجتماعى.

واعتبر ميلز أن النتائج التالية لهذه العمليات عند المستوى الفردى، تتكون من زوال الحرية الفردية، وزيادة فى الاغتراب alienation، والتى ترزح فيها الطبقة الوسطى بصفة خاصة تحت وطأة عدم الراحة والقلق، وتعانى من الاغتراب عن النفس والعمل، وتحرم من الترشيد الفردى حيث لا يملك الفرد حرية توجيه نفسه، ذلك كله يؤدى إلى فقد الشعور السياسى.

(1) Mills: The "Power Elite" Oxford University Press Niw York, 1956, Chap. 1.

(2) White Coller: op. cit., P. XII.



obeikan.com

وهكذا يؤدى الترشـيد إلى ضبط سيكولوجى وضـبط نظامى، والذى ينجم عنه زوال الحرية عند كل مستويات المجتمع.

وفى الحـقيـقة يـمكن النظر إلى مـثل هذه الدراسة على أنهـا تمثل انعكاسـات لأيديولوجية شخصية أكثر منها علم اجتماع موضوعى.

ويؤخذ عليه أنه ركز على النتائج السلبيـة للترشيد إلى حد أنه أبعد أى وظائف إيجابية للترشيد.

كما أن منهجه يكاد يكون بعيدًا عن اعتـباره علميّاً فهو يميل إلى الوصف، كما أن بياناته غيـر مرتبة. ورغم هذا فإن ميلز يظل أحـد أهم منظرى نظريات الصراع فى علم الاجتماع المعاصر. ويقدم إغراءات لمثل هذا النمط من علم الاجتماع.

***



obeikan.com

## رالف داهرندورف
## RALF DAHRENDORF

## (١٩٢٩ - ٢٠٠٩)

تعلم داهرندورف أولا فى جامعة هامبورج حيث نال شهادته الجامعية الأولى ١٩٥٢ ثم نال الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٥٦ وخلال حياته الجامعية شغل كراسى علم الاجتماع فى عدد من جامعات ألمانيا، كما عمل فى مدرسة لندن للاقتصاد ثم فى جامعة استانفورد. ومن مؤلفاته الرئيسية بالإنجليزية الطبقة والصراع الطبقى فى المجتمع الصناعى وصدر فى ١٩٥٩[١].

**أهدافه:**

فى كتاب داهرندورف «الطبقة والصراع الطبقى فى المجتمع الصناعى»، اهتم داهرندورف بالحقيقة المحيرة وهى (أن البناءات الاجتماعية.. لديها القدرة على أن تنتج فى داخل ذاتها عناصر الإحلال بالقوة والتغيير)[٢]. وتبعا لذلك حاول داهرندورف أن يعرض كيف ينشغل بل وتستغرق الجماعات والعمليات فى هذه الظاهرة (التى يمكن أن تحقق نظريا وأن تحلل أمبيريقيا)[٣]. ولقد حاول داهرندورف وضع نظرية عامة عن صراع الطبقات والتغير الاجتماعى مستفيدا من نظريات القهر.

ولتحقيق هذا الهدف تقدم إلى اختبار النظرية الماركسية عن الطبقات فنقدها، ثم عمد إلى التعامل مع مشاكلها باختبار الصراع الصناعى والسياسى فى المجتمع الصناعى الحديث.

وعند إنشاء نظريته الخاصة به عن الصراع الطبقى استخدام أيضًا مفاهيم فبر Weber عن السلطة authority، واتحادات التعاون الإجبارية ولهذا يمكن النظر إلى

---

(1) Dahrendorf, R.: "Class and Class Conflict in industrial Society", Stanfod University Press, Stanford, Calif 1959.

(2) Ibid.: P. VIII.

(3) Ibid.: P. VIII.



obeikan.com

منهج داهرندورف على أنه مـزج بين أفكار ماركس وفبـر ثم طبقهـا على الصراع الطبقى فى المجتمع الحديث.

## نظريته

أقام داهرندورف نظريتـه على أساس نظرية القـهر التى تفتـرض وجود التغـير الاجتمـاعى والصراع الاجتماعى والقـهر، (ومساهمة كل عنصـر فى المجتمع فى تفككه وتغيره)[١]. وتعتبر هذه الافتراضات أسس نظرية الصراع فى المجتمع.

وبقبول داهرندورف لهذا النموذج عن الحقيقة الاجتماعية، تقدم إلى افتراض أن الاتحادات associations مجـبرة على التـعاون إذ أن تعـاونها يحـدث تحت وطأة الأوامر، وهو يعنى بذلك أن أعضاء هذه الاتحادات يـشكلون منظمات رسمية ومن ثَمَّ فهم خاضعون لعلاقات السلطة. والعـاملان فى بناء هذه الاتحادات هما تجمعين من المراكز، وهمـا السيادة domination والخضوع subjection[٢]، وهو يعنى أن جماعة تملك السلطة فهى تأمر، وجماعة لا تملك سلطة فهى مأمورة.

ويمتلك كل تجمع مـن هذين التجمعين مـصالح كامنة Latant مشتركة، وهو يعنى أن كل جماعة لديها توجيهات لا شعورية منغرسة فى أوضاع اجتماعية معينة والتى تمثل الأسس لشبه جـماعات quasi- groups جمـاعات غير منظمـة يشارك أعضاؤها فى مصالح مشتركة كامنة[٣].

هذه المصالح الكامنة قد تفصح عن نفسها فى شكل مصالح ظاهرة manifest، ويعنى داهرندورف تحول المصالح الكامنة اللاشعورية إلى اتجاهات ظاهرة واعية شعـورية، والتى تواجه وتتـعارض مع مـصالح الاتحـادات الأخرى. ومن ثَمَّ تصبح تلك الشـبه جماعـات طبقات اجـتماعيـة، ويعنى داهرندورف اتحادات تشـترك فى مـصالح ظاهـرة وكامنة ولهـا علاقـة ببناء السلطة فى الاتحـادات المتعاونة بالأمر[٤].

---

(1) Ibid.: P. 162.
(2) Ibid.: P. 237- 238.
(3) Ibid.: p. 237- 238.
(4) Ibid.: P. 238- 239.



obeikan.com

ذلك الإعلان والإفصاح عن المصالح يعتمـد على حضور عدد من عوامل معينة أو (ظروف التنظيم)، والظروف الفنية ويعنى بها هيـئة التنظيم وإجراءات التنظيم، والظروف السـيـاسـية ويـعنى بهـا الحرية أو التـحـزب أو التـعـصب، والظروف الاجتـماعـية ويعنى بهـا الاتصالات communication، والظروف السيكولوجـية ويعنى بها استدماج أدوار المصالح -أى مدى تشرب أعضاء الجماعة لأدوارها[1].

فإذا وجـدت هذه الظروف فإن كثافـة وحدة الصراع الطبـقى الناتج تتوقف عـلى (إلى أى مـدى وجدت هـذه الظروف)، ويـعـنى مدى اكتـمال وجـودها أو أنهـا ما زالت فى دور التكـوين، ويعنى المدى الذى فيـه صـراع الطبقـات والجمـاعات قـد ظهر على السطح، ومـدى توزيع السلطة والمكافـآت، ومدى انفتاح النسق الطبقى[2].

وأخيراً يتوقـف انفجار الصراع الطبقى وعنفه على مـدى تواجد الظروف السابق ذكرها، وإلى مدى تحـول الحرمان المطلق للحرمـان النسبى ويعنى بها تحـرر أعضاء الجماعة أو الطبقة من الإذعان والخضوع المطلق وتحولهم إلى خضوع نسبى. وكذلك يتوقف الانفجار والعنف على المدى الذى وصل إليه ترتيب وتنظيم الصراع[3].

وهكذا يمكن القـول أن داهرندورف أخذ بنظرية القـهر، واعتـبر أن جمـاعات المجتمع تتعاون ويتم بناؤها مـجبرة على ذلك بواسطة المصالح الكامنة. وتحت ظل ظروف اجتمـاعية معينة تفـصح هذه المصالح الكامنة عن نفسهـا فى شكل مصالح ظاهرة، تتـعارض هذه المصالح بعـضهـا مع البعض الآخـر، فيتلـو ذلك الصراع الطبقى، ويتوقف كل من كثافة وعنف هذا الصراع على ظروف موقفية معينة.

وبما أن المجتمع ما هو إلا عـبارة عن مجموعة من الاتحادات المتنافـسة والمتعاونة إجبارياً والتى تبنيهـا المصالح ويحيط بها ظروف اجتماعيـة، فإن مثل هذا المجتمع يصبح مجهزاً بمنبع للديناميكية والتغير الاجتماعى المستمر.

---

(1) Ibid.: P. 239.

(2) Ibid.: P. 239.

(3) Ibid. : P. 239.



obeikan.com

ويلاحظ أن محاولة داهرندورف لتركيب أفكار ماركس وفـبر تعتبر وصلة هامة بين نظريات الصراع ونظريات السلوكيين الاجتماعـيين، وخاصة أنها أيضًا تتعامل مع مواضيع التناقض بين هاتيـن النظريتين. ولقد حاول فى نظريته تفـسير ضرورة ولا ضرورة الصراع الطبقى، وانبعاث وعـدم انبعاث الصراع الطبقى، وتلك كانت دراسة محكمة توضح مدى تعقد الصراع فى المجتمع الصناعى.

ولكن يؤخذ على نظرية داهرندورف أن تعريفه لمفاهيمه الرئيسية المتعلقة بالطبقة والصراع الطبـقى غيـر واضحة، ويعـترف داهرندورف أن نظريتـه فى الصراع وإن كانت حديثة إلا أنها غير كاملة وتحتاج إلى مزيد من التطبيقات والتدقيق.

***



obeikan.com

## تلخيص النمط النسقى
## لنظريات الصراع المعاصرة

هذا النوع من النظريات يهتم بالظروف الاجتماعية التى فى ظلها ينبعث الصراع، كما تهتم بالخواص السسيولوجية للسيادة فى المراحل المختلفة للتطور، مثل هذه النظرية تقدم محاولة هامة لعمل تحليل ديناميكى للصراع والسيادة فى المجتمعات المعاصرة، مستخدمة فى ذلك الأفكار المبكرة عن الصراع.

**فنرى عند مليز وداهرندورف:**

١- كل منهما كان متأثرًا بنظريات الصراع المبكرة وخاصة أعمال ماركس وفبر.

٢- اهتم كل منهما بفهم الصراع والسيادة فى داخل المجتمع الصناعى الحديث.

٣- كان كل منهما يعتبر أن القوة والسيادة هى بؤرة البناء الاجتماعى.

٤- استخدم كل منهما الاستقراء التاريخى.

٥- استخدم كل منهما تركيبات ماركس وفبر لتحليل الصراع والسيادة.

***



obeikan.com

## دافيد ريسمان
## DAVID RIESMAN

## (١٩٠٩-٢٠٠٢)

ولد دافيد ريسمان فى سنة ١٩٠٩ وتـعلم فى جامعة هارفارد Harvard وعمل أستاذًا للقانون فى جامعة بفلو Buffalo من سنة ١٩٣٧- ١٩٤٢، ثم عمل أستاذًا للعلوم الاجتـماعية فى جـامعة شيكاغـو، ثم انتقل إلى نفس المنصب فى جامـعة هارفـارد منذ سنة ١٩٥٨. واهتم بـعلم اجـتمـاع التـربيـة ودراسـة الخـصـائص الاجتماعـية، ومن أهم ما نشره كتاب الجمـهرة الوحيدة Lonely Crowed وكتاب إعادة النظر فى النزعـة الفردية Individualism Reconsidered- وينصب اهتمامنا فى هذه الدراسة على ماأثاره من مسائل فى كتابه الجمهرة الوحيدة. فقد تحدث فى كتابه هذا عن التغير الديموجرافى كأساس للصراع الاجتماعى. ومن ثَمَّ فهو أسهم فى التفسير الطبيعى لنظريات الصراع المعاصرة.

**أهدافه:**

كان اهتمام ريسمان الرئيسى «بالأسلوب الذى به تحل تدريجيّاً خاصية اجتماعية مختلفة تمامًا محل خاصية كانت سائدة فى أمريكا فى القرن التاسع عشر»(١).

ومن ثَمَّ فبؤرة اهتـمامه هو التغيـر الاجتماعى فى النمط السـائد من الخصائص الاجتمـاعية. وللوصول إلى هذا الـهدف، تضمنت أساليب عـمله تطبيق نظريات النمـو الديموجـرافى والاقتـصـادى فى دراسة الـتغـيـر الاجتـمـاعى وأنماط البناء الاجتماعى وأنماط الإلزام والتطابق الاجتماعى(٢).

مستخدمًا فى ذلك الاستقراء التـاريخى. ومن هذا نجد أن منهجه تضمن استخدام أطر فكرية من عمل الآخرين لدراسة مشكلة الصراع الاجتماعى والتغير الاجتماعى.

(1) Riesman: "The Lonely Crowed" Yale Universit press, New Haven, 1961. p.3.

(2) Ibid: p. 7-9.



obeikan.com

## نظريته

ابتدأ ريسمان بتعريف الخاصية الاجتماعية Social character «بأنها ذلك الجزء من الخصائص الذى يكون مشترك «له عمومية» بين الجماعات الاجتماعية الهامة. .وأنها نتاج خبرات هذه الجماعات»(١).

الصلة بين هذه الخاصية والمجتمع «يمكن أن نجدها فى الأسلوب الذى يؤمن المجتمع به درجة من التزام والتطابق conformity عند الأفراد الذين صنعوه»(٢). ومن ثَمَّ تمثل الخاصية الاجتماعية إلزامًا معياريّاً.

هذه النماذج من الإلزام أو التطابق بدورها تعتمد على عوامل ديموجرافية معينة أو «تبدلات سكانية معينة فى المجتمعات الغربية منذ العصور الوسطى»(٣). وعلى حد تعبير ريسمان «أخذت هذه التبدلات شكل حرفS «فى اللغات الأجنبية»(٤). ويمثل الخط الأفقى فى قاع حرف S المجتمعات التقليدية التى كانت فيها نسب كل من المواليد والوفيات متساوية واعتبرها ريسمان مجتمعات فى طور احتمالية النمو العالى hiegh growth potential. وعندما تبتدئ هذه الاحتمالية فى العمل يحدث نمو انتقالى transitionl يمثلة فى حرفS الخط الرأسى والذى خلاله يكون معدل المواليد أعلى من معدل الوفيات. وفى المرحلة الثالثة ينحدر معدل النمو إلى أسفل. وهى بداية التناقص السكانى، ويمثلة الخط الأفقى فى قمة حرفS، والتى فيها تكون نسبة كل من المواليد والوفيات منخفضة.

وبعد أن رسم ريسمان منحنى النمو الذى يمثله عنده حرف S، ابتدأ فى إقامة نظريته فاعتبر «أن كل من هذه الأطور الثلاثة المختلفة فى منحنى السكان يشغله مجتمع يلزم أعضائه على التطابق ويصوغ خصائصه الاجتماعية بأسلوب مختلف كل عن الآخر»(٥).

---

(1) Ibid: p. 4.
(2) Ibid: p. 5.
(3) Ibid: p. 7.
(4) Ibid: p. 7.
(5) Ibid: p. 8.



obeikan.com

وصف ريسمان العلاقة بين الخاصية وبين النمط الاجتماعى كالآتى:

**النمط الأول** «نمط احتمالية النمو العالى»:

١- فى هذا النمط توجه التقاليد الناس.

٢- ومن ثَمَّ يتميز المجتمع بالسلوك التقليدى الموروث الذى عرفه وحدده نسق القرابة.

٣- تتم عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق تمثل العادات والتقاليد فى داخل نظام اجتماعى جامد ومحكم وثابت.

٤- وتمارس الجزاءات ضبطها عن طريق شعور الفرد بالقلق والخوف من الانحراف عن التقاليد.

٥- النظام الاقتصادى مستتب ومن ثَمَّ فالأشخاص لديهم استقرار وأمان اقتصادى لاتساع رقعة الأرض المنتجة.

٦- ساد هذا النمط فى المجتمعات البدائية. والعصور الوسطى فى أوربا.

**النمط الثانى** «النمو الانتقالى» حيث نسبة المواليد أعلى من الوفيات:

١- يكون الناس موجهون داخلياً «أى من داخل أنفسهم» إذ أنهم قد استدمجوا أهدافهم. ولكن ليس بالضرورة أن تكون الوسائل أيضا مستدمجة.

٢- تتم عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق غرس الخصائص الاجتماعية داخل الفرد بواسطة كبار السن.

٣- تمارس الجزاءات ضبطها عن طريق إحساس الفرد بالذنب لعدم قدرته على التطابق مع الخصائص الاجتماعية.

٤- يتميز النظام الاقتصادى بالتوسع الاستعمارى.

٥- ساد هذا النمط فى أوربا خلال العصر الفيكتورى.

**النمط الثالث** «بداية تناقص السكان»:

١- يوجه الناس أناس آخرون أى يكون هناك أناس يوجهون وأناس موجهون أى أناس يأمرون وأناس يأتمرون.



obeikan.com

٢- يكون الناس غير متأكدين من أى من القيم الصواب وخاصة فيما يختص بالقيم الأساسية.

٣- ولهذا يجد الناس أنفسهم يتجهون إلى الجماعات المتشابهة معهم أى جماعة الند أى تكوين طبقة.

٤- وتمارس الجزاءات ضبطها من خلال إحساس الفرد الخوف من الانعزال.

٥- الاقتصاد يسوده التصنيع والتحضر.

٦- يوجد هذا النمط فى مجتمع الميتروبوليتان المعاصر فى أمريكا وأستراليا وأوربا.

واعتبر ريسمان أن الرابطة لهذا النموذج من التغير تكمن فى داخل العلاقة النشطة المتبادلة بين السكان والبناء الاجتماعى، بمعنى عندما يحدث التغير فى السكان وبصفة خاصة فى معدلات المواليد والوفيات، يولد المجتمع أشكالاً جديدة من الإلزام والتطابق ليؤمن إشباع الحاجات، وتبعًا لذلك يصبح الصراع الاجتماعى والأشكال المتغيرة من الإلزام والسيادة وظيفة لعوامل التغير السكانى. فمثلاً مجتمعات النمو الانتقالى يحتمل أن تكون عنيفة وتثير الاضطراب فى الأساليب المستقرة للوجود الاجتماعى التى كان فيها توجيه التقاليد هو النموذج الأساسى لتأمين الالتزام والتطابق. فعدم التوازن فى معدلات المواليد والوفيات يصنع ضغوطًا على أساليب المجتمع المعتادة، مما يستدعى ويتطلب شريحة جديدة من خصائص البناء»[1].

وهكذا يعتمد الصراع الاجتماعى والسيادة على معدلات المواليد والوفيات فى المجتمع، والتى تمثل ضغوطًا ديموجرافية معينة، والتى تؤدى إلى أشكال معينة من البناء الاجتماعى وأنماط من السيادة والإلزام والتطابق.

***

(1) Ibid: p. 14.

# لويس كوزر
# LEWIS COSER
# (٢٠٠٣-١٩١٣)

ولد كوزر فى ألمانيا سنة ١٩١٣ وحصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا Co-lumbia سنة ١٩٥٤، وعمل أستاذًا لعلم الاجتماع بجامعة ولاية نيويورك، وقد تتلمذ كوزر على يد ميرتون Robert Merton. ويتركز اهتمام كوزر الرئيسى حول النظرية الاجتماعية. ومن أهم مانشره كتاب وظائف الصراع الاجتماعى The Functions of Social Conflict. وكذلك كتاب تكملة فى دراسة الصراع الاجتماعى سنة ١٩٦٧. Continuities in the Study of Social Conflict، وكذلك كتابه أساتذة الفكر السسيولوجى سنة ١٩٧١ Masters of Sociological Thought. واهتمامنا فى هذا المقام يتركز حول أفكاره عن الصراع الاجتماعى.

**أهدافه:**

فى كتاباته عن الصراع هدف كوزر إلى «توضيح وتدعيم المفاهيم المناسبة لبيانات الصراع الاجتماعى... ومركزًا على الوظائف Functions أكثر من المعوقات الوظيفية Dysfunctions للصراع الاجتماعى. والتركيز أيضا على النتائج اللاحقة للصراع الاجتماعى والتى تعمل على الزيادة أكثر من التناقص فى التكيف وترتيب العلاقات الاجتماعية والجماعات»[١].

واعتبر كوزر الصراع هو «كفاح حول القيم والدعاوى لتعزيز المكانة والقوة والمنابع، ويتجه هذا الكفاح إلى أهداف الخصوم لإبطال مفعولها أو تحييدها أو تقليل منافستها»[٢].

---

(1) Coser, L.A: "The Functions of Social Conflict" Free press, Chicago. 1956. p. 7-8.

(2) Ibid : p.8.



obeikan.com

ومن أجل هذا الهدف فحص كوزر القضايا الأساسية لنظريات الصراع الاجتماعى وبصفة خاصة عند سمل Simmel، وعمل على إمدادها بوقائع أخرى سواء ذات طبيعة نظرية أو عملية، وأيضا مثل ما فعل باقى أصحاب نظريات الصراع المعاصرة، فعل كوزر إذ استخدم نظريات المنظرين الأوائل فى دراسة الصراع الاجتماعى المعاصر.

## نظريته

افترض كوزر الرئيسى أن الصراع ربما يزيد أكثر من أن ينقص التكيف والترتيب الاجتماعى. والمحافظة على حدود الجماعة، بمعنى أن الصراع إذا كان يعتبر معوقًا للوظائف dysfunctional فإنه أيضا له وظائف[١].

ثم تقدم ليرسم ويوضح منبع الصراع، والمواقف الطارئة المؤدية للصراع والوظائف المحتملة للصراع.

واعتبر كوزر أن الصراع ينشأ عندما «يوجد زيادة فى عدد الطالبين عن الفرص المتاحة لإعطاء المكافآت المناسبة»[٢]. بمعنى أنه استخدم هنا الفكرة الاقتصادية التى تتحدث عن العلاقة بين العرض والطلب، فإذا كان عدد طلاب العمل أكثر من فرص العمل المعروضة، هذا منبع للصراع وفى نفس الوقت اعتبره موقفًا طارئًا مولدا للصراع. ولكن فيما يختص بالنتائج التالية لهذه الظاهرة يحددها نمط البناء الاجتماعى الذى فى داخله تحدث تلك العملية، وأيضا يحددها نمط المسائل موضع اهتمام أعضاء المجتمع، كل ذلك يؤثر فى وظائف هذه العملية فى داخل المجتمع.

واعتبر كوزر أن الأبنية الاجتماعية تختلف فى أنماط الحراك الاجتماعى[٣]. وتختلف الأبنية الاجتماعية أيضا فى أنواع نظم صمام الأمان Safty- valve institutions الموجودة بها، وأيضا تختلف فى مدى السماح بالصراع وانتظاميته، وكذلك تختلف الأبنية

(1) Ibid : p.8.

(2) Coser: "Continuities in the Study of Social Conflict" Free press, New . york, 1967, p.27.

(3) Ibid: p. 26.



obeikan.com

الاجتماعية فى درجة التحام الجماعات ومستوى المشاركة الجمعية وكذلك طول الصراع [1].

ومن ثَمَّ اعتبر كوزر أنه كلما زاد انغلاق نسق التدرج الاجتماعى، وكلما قل عدد نظم صمام الأمان، وكلما قل التسامح وانتظامية الصراع، وكلما زاد انغلاق الجماعات كل على نفسها وكلما طال كفاح الجماعة، كلما زادت كثافة وشدة التمزيق والانهيار الذى سوف يحدثه الصراع الاجتماعى فى داخل المجتمع.

وكذلك اعتبر كوزر أن أنماط المواضيع التى يقع حولها الصراع هى أيضا عامل رئيسى فى تأثيراتها، فمثلاً المواضيع التى تدور حول الشرعية الاجتماعية وتتضمن عدم الاتفاق حول الدعاوى الأساسية تؤدى إلى مستويات عالية من الصراع. وكذلك قد تكون المواضيع واقعية وحقيقية مثل الفشل فى إشباع متطلبات معينة، أو غير واقعية مثل المواضيع التى تتضمن حاجة إلى خفض توتر عام، النمط الأخير يؤدى إلى صراع أكثر شدة وكثافة.

ولكن أيضا اعتبر كوزر أن توليفة إيجابية من كل العوامل السابقة يمكن أن تؤدى إلى صراع يقدم للنسق الاجتماعى وظائفا Functions مثل أنه قد يقدم استقرارا للعلاقات الاجتماعية، ويعيد الحيوية للمعايير الموجودة، ويساهم فى بعث معايير جديدة، ويقدم ميكانيزم لاستمرار إعادة تكيف ومواءمة ميزان القوة، وينمى اتحادات وائتلافات جديدة، ويقلل العزل الاجتماعى، ويساهم فى المحافظة على خطوط حدود الجماعة، وبصفة عامة تحت ظل ظروف معينة، قد يؤدى الصراع إلى نسق اجتماعى أكثر مرونة واستقرار وتكامل.

وهكذا اعتبر كوزر أن الصراع حول مواضيع واقعية فى داخل بناء اجتماعى مفتوح قد يساهم فى مزيد من التكيف والمرونة والتكامل للبناء الاجتماعى، بينما الصراع اللاواقعى فى بيئة مغلقة وغير مرنة قد يؤدى إلى العنف والتفكك.

---

(1) Coser : Fun. of Soc. Conflict: p. Chap. IX.

مثل هذه المحاولة لإنشـاء نظرية تساعد على فهم الظروف والآثار لهـذه العملية الديناميـكية فى المجتـمع المعاصـر، هى مساهـمة عظيمـة للنظرية السسـيولوجـية المعاصرة[1].

**وبالرغم من ذلك فإن هذه النظرية يؤخذ عليها بعض المسائل:**

١- عن محاولة كـوزر الاستعاضة عن البنائيـة الوظيفية التى اعتـبرها ذات جانب واحد، إلا أنه سقط فى نفس الفخ إذ أنه اعتبر الصراع تكيف وتكامل.

٢- أفرط كوزر فى تبسيط منابع الصراع الاجتماعى.

٣- كما يمكن اعتبار قضاياه عامة ومـاكروسكوبية حتى أنه يصعب استخدامها، بل وغير ملائمة لفهم مواقف معينة.

٤- يمكن اعتبار نظريته أكثر قربًا من الوظيفية البنائية منها إلى نظريات الصراع.

***

(1) Ibid. :Chapt. IX.



obeikan.com

## تلخيص لنظريات الصراع المعاصرة

سبق أن أشـرنا إلى أن نظريات الصراع المعـاصرة تعـتبر رد فـعل جمـاعة من المثقفين على الصراع الاجتماعى بصفة عامة والعنصرى بصفة خاصة. وكذلك كرد فعل لآثار الضغوط العالية للزيادة الكبيرة فى عمليات البيروقراطية والتصنيع.

واعتبرت هذه النظريات المجتمع كنسق، نسق مـتطور من جماعات متنافسة من أجل الحصول على المتتابع، ويحكمهم نوع معين من سيادة الصفوة.

واعتبرت الظروف الاجتمـاعية والديموجرافية المختلفة كمحـدد لكثافة واستمرار وشكل الصراع الاجـتماعى، بينما يمثل البناء الاجـتماعى نمط السيـادة الموجود فى المجتمع فى مرحلة معينة من تطوره.

ويلاحظ أن دراستـها لكل من مليـز وداهرندورف وريسمان وكـوزر قدمت لنا عدداً من المتشـابهات بينها، فجمـيعهم وإن كانت لهم حيـاتهم الأكاديمية إلا أنهم انشغلوا بالسـياسة. ومـعظمهم قد لاحظ الصراع الاجـتماعى فى داخل المجـتمع الأمريكى الذى يمر بمرحلة تتمـيز بمعدلات عالية من التصنيع والبيـروقراطية. وقد تركز اهتـمامـهم جمـيعا على دراسـة الصراع وأنماط السـيادة فى داخل المجـتمع الصناعى المعاصر.

**كما يمكن رؤية التشابهات الآتية فى نظرياتهم:**

١- كان هدفهم التحليل للصراع والسيادة فى داخل المجتمع الصناعى الحديث.

٢- اعتبروا أن المجتمع يمثل نسقًا من الجماعات أو المصالح المتنافسة.

٣- ينبعث الصـراع الاجتماعى أو الطبـقى فى ظل ظروف اجتمـاعية أو تنظيمـية معينة.

٤- يسـاهم التصنيع والبيـروقراطيـة فى صنع الأشكال الرأسـماليـة من السيـادة والمركزية والصفوة.

٥- يساهم الصراع الاجتماعى فى مزيد من التطور والتكيف الاجتماعى. وهكذا يمكن اعتبار أن نظريات الصراع المعاصرة تمثل رد فعل راديكالى للأشكال المعاصرة من الصراع والسيادة. كما يلاحظ أن التواصل بين نظريات الصراع المبكرة والمعاصرة واضح جداً فى أسلوب الصياغة وفى استخدام الأفكار المبكرة.

***

obeikan.com